

## تفسير ابن كثير

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشْرًا مِّنْ شَيْءٍ <sup>قل</sup> قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ  
الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ <sup>صل</sup> تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبَدُونَهَا وَتَخْفُونَ <sup>صل</sup> كَثِيرًا  
وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ <sup>صل</sup> قُلِ اللَّهُ <sup>صل</sup> ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ

يقول تعالى : وما عظموا الله حق تعظيمه ، إذ كذبوا رسله إليهم ، قال ابن عباس ومجاهد

وعبد الله بن كثير : نزلت في قريش . واختاره ابن جرير ، وقيل : نزلت في طائفة من

اليهود ; وقيل : في فنحاص رجل منهم ، وقيل : في مالك بن الصيف . ( قالوا ما أنزل الله

على بشر من شيء ) والأول هو الأظهر ; لأن الآية مكية ، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب

من السماء وقريش - والعرب قاطبة - كانوا يبعدون إرسال رسول من البشر ، كما قال [

تعالى ] ( أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس [ وبشر الذين آمنوا أن

لهم قدم صدق عند ربهم ] ) [ يونس : 2 ] ، وقال تعالى : ( وما منع الناس أن يؤمنوا إذ

جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون

مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ) [ الإسراء : 94 ، 95 ] ، وقال هاهنا : (

وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ( قال الله تعالى : ( قل من

أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس ) ؟ أي : قل يا محمد لهؤلاء

المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله ، في جواب سلبهم العام بإثبات قضية

جزئية موجبة : ( من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ) يعني : التوراة التي قد علمتم -

وكل أحد - أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نورا وهدى للناس ، أي : ليستضاء

بها في كشف المشكلات ، ويهتدى بها من ظلم الشبهات . وقوله : ( تجعلونه قراطيس

تبدونها وتخفون كثيرا ) أي : يجعلها حملتها قراطيس ، أي : قطعاً يكتبونها من الكتاب

الأصلي الذي بأيديهم ويحرفون فيها ما يحرفون ويبدلون ويتأولون ، ويقولون : ( هذا من

عند الله ) [ البقرة : 79 ] ، أي : في كتابه المنزل ، وما هو من عند الله ؛ ولهذا قال : (

تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ) وقوله : ( وعلمتم ما لم تعلموا أأنتم ولا آباؤكم )

أي : ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ، ونبأ ما يأتي ما لم تكونوا

تعلمون ذلك أنتم ولا آباؤكم . قال قتادة : هؤلاء مشركو العرب . وقال مجاهد : هذه

للمسلمين . وقوله : ( قل الله ) قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أي : قل : الله

أنزله . وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة ، لا ما قاله بعض المتأخرين ، من أن معنى ( قل الله ) أي : لا يكون خطاب لهم إلا هذه الكلمة ، كلمة : " الله " وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمرا بكلمة مفردة من غير تركيب ، والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها . وقوله : ( ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ) أي : ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون ، حتى يأتيهم من الله اليقين فسوف يعلمون ألهم العاقبة ، أم لعباد الله المتقين؟